مجلة الرائد

العدد : ٢٤٤ الموافق في ربيع الآخر ١٤٢٤ هجري ٢٠٠٣/٦ ميلادي

عنوان المقال : نعيب زماننا	الكاتب : سارية اسماعيل

كنا في بلادنا نتناقل أخبار من يعودون من بلاد الغرب ، فذا ينقل ما سمعه من قريبه ، وهذا ما سمعه صديقه ، وآخر زار بلاد الغرب ، ومع تراكم الأخبار نُسجت في المخيلة صورة عن المسلمين في الغرب ..

كتلٌ وتجمعات سكانية تعيش عروبتها وإسلامها كما في بلادها ، وقد أضافت إليها اللمحة الإسلامية السوية .. مع توحد وتعاضدٍ وسمو في الفكر وبلوغ لأعلى الدرجات داخل المجتمعات الغربية . كنت أتخيل أن العربي أو المسلم في الغرب هو ذاك الشخص الفريد في مجتمعه الغربيّ ؛ مهندساً كان أم طبيباً أم باحثاً أم .. أم .. ، وأنه يقلب المفاهيم الخاطئة التي نشأ عليها أو فيها في وطنه الأم إلى المفاهيم الصحيحة التي عليها يجب أن تكون كل المفاهيم .

فهو يناضل ليكون ذاك الأنموذج الرفيع للمسلم ، وهو يتعاضد مع إخوته ويتكاتف ليكوّن ذاك البنيان المرصوص الذي يشد بعضه بعضاً .. وغيرها .. وغيرها .. مما نُسج في المخيّلة .

إلى أن كان سفري لإحدى البلاد الغربية بهدف الاستزادة في التحصيل العلمي .. وكان القدر أن تكون إقامتي في مدينة بها واحد من أهم المراكز الإسلامية في الغرب .. حيث أدركت أن المخيلة قد شطّت قليلاً في نسج تلك الصورة ، وكان شعوري إلى حد ما أقرب إلى خيبة الأمل ..

ومما أثار رغبتي في الكتابة حول هذا الموضوع وغيره - تلك الرغبة التي ظلت كامدةً خلال الشهور الأولى - هو حضوري لأحد اللقاءات الاجتماعية في ذاك المركز الإسلامي .. وبالأخص عندما فتح المجال بعد المحاضرة الملقاة للأسئلة والنقاش والنقد ، فكان أن تولى أحد الحضور زمام النقد الهجومي ، وتولى آخرون الدفاع .. ورحت أراقب .. وتراءت أمام عيني فكرة طالما شعرت بها في بلادنا . إنها الدكتاتورية .. حتى في الفكر .. وسأذكر موجزاً عن النقد والدفاع لأنطلق منه لمواضيع أخرى أود التنبيه إليها .

كان الناقد يعتبر أن جميع المواضيع الاجتماعية والثقافية يجب أن تتنحى عن ساحة اللقاءات ليحتل موضوع الساعة الجانب الرئيسي فيها .. ورأى الدفاع أن هذه المسألة مسألة أجيال وأن علينا أن نربي أجيالاً على أساس من الفكر العلمي والثقافي .. وأن علينا أن نطرح جميع المواضيع لنغني الجيل الجديد بالفكر المتعدد الآفاق .. فكان أن وسم الناقد هذه الفكرة بالكلاسيكية والقديمة .. (وهذان الرأيان

يمثلان كذلك آراء وشرائح كبيرة من أفراد مجتمعاتنا العربية والإسلامية).

هنا - ونتيجة تراكمات لمشاهدات وملاحظات - بدأت تتدافع الأفكار في رأسي كما تتدافع قطع الذرة " البوشار/الفشار " عندما تحمى على النار . قلت في نفسي : أليست فكرة الناقد هي القديمة ؟! وأن فكرة الآخر في تنشئة الجيل هي الصحيحة!! ثم أليست هذه دكتاتورية في التفكير أن تعتبر بصيغة الجزم بأن رأيك هو الصحيح وأن رأي غيرك هو الخطأ .. هل يا ترى هناك جيل من مورِّثاتنا أنتجه " جين " الدكتاتورية ؟!! أجل إننا دكتاتوريون بطبعنا .. هذا ما استخلصه .. دكتاتوريون في تفكيرنا .. في تعاملنا .. في .. وفي ..

ومن الأفكار التي خطرت ببالي أيضاً .. والتي اعتبرت فيها أن رأي الناقد (دون جزم بل إبداءاً للرأي ..حتى لا أكون دكتاتورياً) كالبكاء على الأطلال.. فكرة باتت من عهود سحيقة .. نعم لا بد من طرح مواضيع الساحة، لكن الأهم معالجتها ، وأساليب تلك المعالجة ، والبحث عن السبب ومحاولة إصلاحه أو استبعاده هو واحد من أهم الأساليب إن لم يكن الأسلوب الوحيد ، ولا أحد .. حسب اعتقادي ينكر أن فكرنا وحالتنا الثقافية والعلمية باتت في وضع سيء.

لقد نجح الغرب ولو جزئيّاً باستعمارنا فكريّاً .. لكن هذا الجزء رغم صغره .. راح ينهش في مجتمعات بلادنا .. ولا يغرّنا ما نحن عليه في الاغتراب (رغم الحال التي لا تسر في تجمعاتنا في هذا الاغتراب) فالتميّز من سنن وطبائع الأقليات وعلينا أن نضع أيدينا على الأسباب التي وصلت بنا إلى ما نحن عليه.يقول اللّه عزَّ وجلَّ : { **وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ** } [الروم : ٣٦] .

لاحظوا أن اللّه تعالى ذكر أن الرحمة من عنده ، وعندما ذكر السيئة لم يقل : « أصبناهم » بل قال تعالى : « وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم » أي أنَّ الإنسان هو سبب نفسه في ما وقع فيه .. وانظر قوله تعالى « إذا هم يقنطون » .

علينا ألا نستغرب ولا نقنط ولا نيأس .. علينا أن ننظر لماذا أصابتنا هذه السيئة ؟! - وخاصة ما يحدث الآن على الساحة العالمية - ماذا قدّمت أيدينا ؟! لقد قدمت أيدينا الكثير .. وعلينا أن نتحرك مهرولين مسرعين إلى طريق العلاج ..

ولا ريب أن من ضمن أساليب العلاج .. العلاج الفكري والعلمي .. ومنه الإقدام على التحصيل العلمي والتنوير الفكري . وهناك عدد لا بأس به من الشباب الإسلامي ممن يأتون إلى بلاد الغرب بهدف التحصيل العلمي بأشكاله والخوض أيضاً في التخصصات الفرعية .. إلا أن هذا جزء من العلاج بالنسبة لداخل جسد العالم الإسلامي .. لكن ماذا عن جسد الأمة .. ؟ ماذا عن الجيل الذي نشأ في البلاد الغربية .. ؟ إنه جيل لا بأس به من حيث العدد .. وهو قادر على العطاء في المجال الدعوي .. لأنه يمتلك لغة هذه البلاد التي باتت لغته الأم .. فقد تخطى حاجز اللغة وامتلك مفاتيحاً قد لا يمتلكها غيره للوصول لأرقى وأهم المواقع ..

إلا أنني لاحظت أن عدد من يدخلون الجامعات والتخصصات العلمية من أبناء الجالية الإسلامية عدد قليل جداً .. إذا ما قورن بالحاجة العلمية للكيان الإسلامي .. بل لا يلبي حتى أقل الحاجيات .. فعلى سبيل المثال لا الحصر .. يحتاج المركز الإسلامي الذي تحدثت عنه إلى أخصائي في علم التربية (وتكون لغته الأم هي لغة هذه البلاد) للتعامل مع الأجيال الشابة الصغيرة .. لا يوجد!! يحتاج إلى تقنيين في مجال " المعلوماتية Informtics " والإنترنيت .. (وأكرر وأؤكد ممن نشأوا في هذه البلاد) لا يوجد!! مع أنه كثر في الآونة الأخيرة عدد من يدخلون مجال المعلوماتية .. لكن أين هم ؟!! سؤال يرتسم أمامنا يحمل في طياته كثيراً من الاستغراب . إذاً لا يهمنا العدد فقط .. بل النوعية أيضاً ..

ويتقدم حسب اعتقادي على هذا العلاج : العلاج الروحي والديني . أجل .. إننا نظن أنه ببضع ركعات وتسبيحات .. أننا قد وفينا القدر المطلوب من العبادة .. ونبخل حتى على أنفسنا بالوقوف ولو لنصف ساعة في محصلة اليوم متضرعين مستغفرين تائبين طالبين الفرج والنصر ..

ونجيد بالمقابل الجلوس ساعات وراء التلفاز ، ونتقن باحتراف ضغط أزرار جهاز التحكم عن بعد للتغيير من قناة فضائية لأخرى .. والتنهد حسرة وحزناً وبكاءاً على الأطلال لما يجري لإخوتنا في أنحاء المعمورة ..

كلنا يعرف قصة غزوة أحد وكيف وقعت الهزيمة بالمسلمين لمخالفتهم أمر رسول اللّه ﷺ .. وكما يقول الأستاذ عمرو خالد : « ترى كم أمراً نخالف لرسول اللّه ﷺ ؟ إذاً كم نستحق مما يجري لنا .. » إنه مما قدّمت أيدينا .

عنوان المقال : نعيب زماننا	الكاتب : سارية اسماعيل

ونذكر المعركة التي بحث فيها المسلمون عن التقصير الذي أدّى لهزيمتهم ، فوجدوا أنه السواك ، وكان انتصارهم فيما بعد .. ليضع كل منا نفسه في ميزان الحق .. هل يرجح عمله على تقصيره ؟!! وليحكم بعد ذلك على نفسه ..

إخوتي في اللّه .. أخلص في النهاية إلى قوله تعالى : { ... **إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ** ... } [محمد : ٧] ، وقوله تعالى : { ... **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ... } [غافر : ٤٠] ، وقوله تعالى : { **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا** } [نوح : ١٠-١٢] ، وقوله تعالى : { **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۞ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۞ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ** } [المؤمنون : ١-٩] ، وقوله ﷺ : « **طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ** ... » رواه ابن ماجه ، وقول الشاعر :

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

يعجز تفكيري عن إيجاد أبلغ من هذه الخلاصة للقول مع أن كل آية وكل حديث يحتاج منا الكثير للتدبر في معانيه ولأن نضع أنفسنا في ميزان كل منها.